

تفسير ابن كثير

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ

قال الإمام أبو جعفر الطبري : اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه " الكاف " في

قوله : (كما أخرجك ربك) فقال بعضهم : شبه به في الصلاح للمؤمنين ، اتقاؤهم ربهم

، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم الله ورسوله . ثم روى عن عكرمة نحو هذا . ومعنى

هذا أن الله تعالى يقول : كما أنكم لما اختلفتم في المغانم وتشاحتم فيها فانتزعها الله

منكم ، وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقسمها على العدل

والتسوية ، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم ، وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من

قتال ذات الشوكة - وهم النفيير الذين خرجوا لنصر دينهم ، وإحراز غيرهم - فكان عاقبة

كراحتكم للقتال بأن قدره لكم ، وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد - رشدًا

وهدي ، ونصرا وفتحاً ، كما قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن

تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

[البقرة : 216] . قال ابن جرير : وقال آخرون : معنى ذلك : (كما أخرجك ربك من

بيتك بالحق) على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم كارهون للقتال ، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم ، ثم روى نحوه عن مجاهد أنه قال : (كما أخرجك ربك) قال : كذلك يجادلونك في الحق . وقال السدي : أنزل الله في خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه فقال : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) لطلب المشركين (يجادلونك في الحق بعدما تبين) وقال بعضهم : يسألونك عن الأنفال مجادلة ، كما جادلوك يوم بدر فقالوا : أخرجتنا للعر ، ولم تعلمنا قتالا فنستعد له . قلت : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما خرج من المدينة طالبا لعر أبي سفيان ، التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام ، فيها أموال جزیلة لقريش فاستنهض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين من خف منهم ، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلبه ، فبعث ضمضم بن عمرو نذيرا إلى مكة ، فنهضوا في قريب من ألف مقنع ، ما بين التسعمائة إلى الألف ، وتيامن أبو سفيان بالعر إلى سيف البحر فنجا ، وجاء النفير فوردوا ماء بدر ، وجمع الله المسلمين والكافرين على غير ميعاد ، لما يريد الله

تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم ، والتفرقة بين الحق والباطل ، كما سيأتي بيانه .والغرض : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بلغه خروج النفير ، أوحى الله إليه يعده إحدى الطائفتين : إما العير وإما النفير ، ورغب كثير من المسلمين إلى العير ؛ لأنه كسب بلا قتال ، كما قال تعالى : (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن بالمدينة : إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها ؟ فقلنا : نعم ، فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا : ما ترون في قتال القوم ؛ فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ، ولكننا أردنا العير ، ثم قال : ما ترون في قتال القوم ؟ فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو : إذا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا

هاهنا قاعدون) [المائدة : 24] قال : فتمنينا - معشر الأنصار - أن لو قلنا كما قال

المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، قال : فأنزل الله على رسوله - صلى الله

عليه وسلم - : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون)

وذكر تمام الحديث .ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث ابن لهيعة ، بنحوه .ورواه ابن

مردويه أيضا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه ، عن جده

قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر ، حتى إذا كان بالروحاء ، خطب

الناس فقال : كيف ترون ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا .

قال : ثم خطب الناس فقال : كيف ترون ؟ فقال عمر مثل قول أبي بكر . ثم خطب الناس

فقال : كيف ترون ؟ فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك [بالحق

[وأنزل عليك الكتاب ، ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت [بنا] حتى تأتي "

برك الغماد " من ذي يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى (فاذهب أنت

وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون ، ولعلك

أن تكون خرجت لأمر ، وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك ، فامض

له ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ،
وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن على قول سعد : (كما أخرجك ربك من بيتك
بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) الآيات .وقال العوفي ، عن ابن عباس : لما شاور
النبي - صلى الله عليه وسلم - في لقاء العدو ، وقال له سعد بن عباد ما قال وذلك يوم
بدر ، أمر الناس فعبثوا للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، فكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله : (
كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق
بعدهما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون)